

الظواهر اللغوية ودورها في تنمية المهارات الأربع - في ظل المقاربة بالكفاءات -

Linguistic phenomena and their role in developing the four skills - in light of the competencies approach

أد / عبد الوهاب المسعود جامعة الجلفة، الجزائر Wahab22w@gmail.com	د/ كريمة زيتوني* جامعة مستغانم، الجزائر zitounikarima@gmail.com
--	---

تاريخ الوصول 2023.07.30 تاريخ القبول 2023.08.04 تاريخ النشر 2023.12.25

الملخص:

نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على مختلف الظواهر (القواعد) التي تضبط اللغة العربية في أدائها التسليم البعيد عن العامية، في موضوع ضغنائه في العنوان الآتي: "الظواهر اللغوية ودورها في تنمية المهارات الأربع - في ظل المقاربة بالكفاءات -"

وفق ما بدى لنا أنّ قواعد اللغة العربية من شأنها تنمية مهارات اللغة العربية الأربع الأساسية، والمتمثلة في الاستماع والقراءة والمحادثة والكتابة في ظلّ المقاربة بالكفاءات، وقد عاجلنا إشكالية الموضوع بالتطرق إلى مفهوم المقاربة بالكفاءات ثمّ الظواهر اللغوية: مفهومها، وأهميتها، ليليه عنصر المهارات الأربع، ثمّ مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات التي خرجنا به من البحث، لعلّ أهمّها أنّ الطفل بمجيئه إلى المدرسة يكون على درجة معيّنة من اللغة إلّا أنّ ما يزيد من ضبط تلك اللغة هو تعلّمه لقواعدها الذي يسهم في تنية مهاراته وأدائها.

الكلمات المفتاحية: الظواهر اللغوية ، المهارات الأربع ، المقاربة بالكفاءات

Summary:

Through this research paper, we aim to identify the various phenomena (rules) that control the Arabic language in its proper performance, far from colloquialism, in a topic we discussed in the following title: "Linguistic phenomena and their role in developing the four skills - in light of the competencies approach"-

According to what appeared to us that the rules of the Arabic language would develop the four basic skills of the Arabic language, which are represented in listening, reading, speaking and writing in light of the competencies approach. Then a set of conclusions and

* المؤلف المرسل: كريمة زيتوني

recommendations that we came out with from the research, perhaps the most important of which is that the child, when he comes to school, has a certain level of language, but what increases the control of that language is his learning of its rules, which contributes to the development of his skills and their performance.

Keywords: linguistic phenomena, the four skills, competencies approach

مقدمة:

انشغلت وزارة التربية الوطنية منذ استرجاع الاستقلال باللغة العربية؛ بالبحث عن طرق أمثل تمكّن من تقديم قواعدها، وذلك بتخفيف تعاريفها، والتحسين في بعض مناحيها وتنظيم مناهجها تنظيمًا يكفل الإقبال عليها ويسهل تطبيقها ويضمن تحقيق الوظائف المتوخاة من ورائها، فقد عرفت مقارنة بناء المناهج تطوّرًا له علاقة متينة بتطوّر البيداغوجيا بصفة عامة، وتطوّر طرق التعليم والتعلّم بصفة خاصّة، من الطريقة الإلقائية (المقارنة بالمضامين: المحتويات) إلى الطريقة السلوكية (المقارنة بالأهداف) وصولًا إلى الطريقة البنائية (المقارنة بالكفاءات).

ومن هنا يمكن القول أنّ المقارنة بالكفاءات أساسها الطريقة البنائية، التي ظهرت ضمن إنجازات ما يسمّى بنظام الإصلاح الذي يدعو إلى تناول حقيقة جوهر المشاكل عامّة، واللغة العربية خاصّة ولا شيء يفيد اللغة وقواعدها أكثر من العناية بالطرق التي تقدّم بها وبالأساليب التي تعلّم بها، أي إعادة النظر في طرق تدريس القواعد لأنّ الطريقة هي كلّ شيء في المادة.

وبما أنّ الطّفل قبل سنّ التّمدرس يكون على قدر معيّن (قليل) من التّحصيل اللّغويّ فإنّ ما يجعله يعمل على تنمية لغته وتهدئتها إن صحّ التعبير في السّنات الأولى من الدّراسة هو تعلّمه للظواهر والقواعد اللّغوية التي تصقل مهاراته المختلفة، وها هنا تبلورت لدينا فكرة البحث المصاغة في العنوان الآتي: « الظواهر اللّغوية ودورها في تنمية المهارات الأربع - في ظل المقارنة بالكفاءات - » وهو موضوع تتمحور إشكاليته حول التّساؤل الآتي: أي ما مدى نجاعة مقارنة الظواهر اللّغوية بالكفاءات في تنمية المهارات الأساسية الأربع للغة العربية؟

1- المقارنة بالكفاءات:

الكفاءة بمعناها الاصطلاحي: "هي تحقيق مستوى الجدارة أو الحدّ الأقصى وليس الأدنى المقبول كما يحدث في الكفاية، والكفاءة في شكلها الظاهر الأداء الفعلي للعمل"،¹

وهو مفهوم مستوحى من اللسانيات إذ "تدعى المعرفة الضمنية التي يملكها أيّ شخص يتكلّم عن لغته، هذه المعرفة تدعى قدرة الفهم والإنتاج من خلال عدد محدود من القواعد، وعدد غير محدود من جمل لغة ما"،²

فقواعد اللغة محدودة ومقنّنة غير أنّ الإنتاج اللّغوي غير محدود.

وهناك من يرى أنّ الكفاءة "مجموعة منظّمة ووظيفية من الموارد (معارف وقدرات ومهارات) التي تسمح أمام جملة مــــن الــــوــــضــــعــــيات بــــحــــل مشــــاكل وتنفيذ مشــــاريع"،

الظواهر اللغوية ودورها في تنمية المهارات الأربع - في ظل المقاربة بالكفاءات - كريمة زيتوني / د عبد الوهاب المسعود³ وتتميز الكفاءة بأنها توظف جملة من الموارد، ثم هي ترمي إلى غايات منتهية لحل مشكلة مطروحة لدى المتعلم في عمله المدرسي، أو في حياته اليومية.

وهكذا فإن المدخل عن طريق المقاربة بالكفاءات استراتيجية بيداغوجية تمكن المدرس من تحقيق مرامي المنهاج المتمثلة في ملمح التلميذ، في طور من أطوار التعليم، وتساعد هذه الاستراتيجية المعلم في بلوغ هذا الملمح عن طريق وضع المتعلم في مواقف تستثير نشاطاته للملاحظة والتحليل والتفسير والتّمرن والحوصلة، وحل المشكلات والتّوصل إلى إكساب الكفاءات والمواصفات المرغوب فيها.

كما يستدعي التدريس بواسطة الكفاءات أسلوبا خاصا في التّقييم، وهو تحديد ما هو منتظر من المتعلم، ثم تحديد نوع السّند وشروط تنفيذ المهمة المرتبطة بمجموعة من الوضعيات. والكفاءات لا يمكن أن تقوم إلا من خلال مؤشرات التي هي عبارة عن أهداف تعليمية، فتقويم كفاءة هو تقويم القدرة على الإنجاز، ومراحل التّقييم ثلاث هي: التّقييم القبلي ويكون قبل العملية لتحديد مستوى المتعلمين، التّقييم التكويني أو البنائي ويكون أثناء العملية، التّقييم الختامي ويكون بعد العملية.

تستهدف هذه المقاربة الجديدة لبرامج التعليم بالإضافة إلى تنمية المكتسبات المعرفية، تهيئة الظروف الملائمة لتنمية المهارات المنهجية والتقنية، وتنمية المواقف التي تمكن المتعلم من التّصرف في الوسط والاندماج فيه. وبذلك فهي تنقسم إلى كفاءة قاعدية متعلقة بوحدة تعليمية، وكفاءة مرحلية تدوم شهرا أو ثلاثيا أو سداسيا أو مجالا معينا، ثم الكفاءة الختامية وتدوم سنة أو طورا أو مرحلة تعليمية معينة.

ثمّ إن "ترك الطالب يستنبط القاعدة بنفسه."⁴ هو الأساس، لأن المقاربة بالكفاءات تشيّر رغبة المتعلم في التّعلم وتدفعه إلى المزيد. إلى بناء تعلّماته بنفسه، كأن يجتهد المتعلم بنفسه ويطلع على الظاهرة اللغوية مثلا التي سيتم تناولها وفق النصّ المقروء فيحاول فهم هذه الظاهرة بنفسه قبل أن يأخذها مع المعلم، وهذا ما لم يكن معمولا به في الطّرق والمقاربات السابقة.

2- الظواهر اللغوية:

اللغة العربية هي لغة الثقافة الإسلامية في مجموعها ذلك التراث الضخم الذي ورثناه من الأجداد ودراسة قواعدها هو السبيل لفهمها. إذ "لكل لغة قواعد (أي قوانين) صوتية وقواعد تركيب الكلمة (الصّرف) وقواعد تركيب الجملة (النحو) وقواعد الكتابة (الإملاء)"⁵ ولإحاطة باللغة ينبغي الرجوع إلى مباحث اللغة والمتمثلة في "قواعد النحو والصّرف، البلاغة، قواعد الإملاء،"⁶ ولفظة قواعد نفسها تدلنا على أنّها أسس يبني عليها شيء من الأشياء.

أ- مفهوم الظواهر اللغوية:

فديصطلح على هذه الظواهر اللغوية بالمهارات اللغوية في حين يقصد بها "النحو والصّرف والصّوت والمعجم والعروض والإملاء والمعنى،"⁷ ويقول آخر "المهارات اللغوية هي الصّرف، البلاغة، النحو."⁸

وهناك من يعبر عنها بالمهارة والمستوى "المهارات الأساسية في اللغة العربية هي المستوى الصّوتي، المستوى الصّرفي، المستوى النحوي، المستوى البلاغي، المستوى المعجمي والدلالي، المستوى الكتابي."⁹ إلا أنّ المهارة مصطلح لمفهوم آخر مغاير سنأتي على ذكره. والواقع أنّ اللغة العربية بحر في أحشائه الدّرّ كامن، وظواهرها أوسع من أن تحصر في ثلاثة

مستويات، غير أنّ الظواهر المبرجة في التعليم الابتدائي هي قواعد النّحو والصّرف والإملاء، أمّا عن قواعد البلاغة وقوانين النّقد وغيرها فإنّه يتمّ تناولها في المستويات الموالية للتعليم الابتدائي.

والقواعد الصّرفية هي التي "تتعلّق ببنية الكلمة، فكما تعنى قواعد النّحو بالجمل والتراكيب تعنى قواعد الصّرف بأحوال بنية اللفظة المفردة"،¹⁰ أمّا النّحو فهو "يتعلّق بمسألة الإعراب والنّطق بحركات الإعراب على أواخر الكلمات"،¹¹ في حين نجد أنّ الإملاء يهتم خاصّة برسم الكلمة، والإملاء له علاقة بالنّحو ويتعلّق أكثر بمهارة الكتابة، أي أنّ القواعد الإملائية "تتعلّق بكتابة الكلمات كتابة سليمة"،¹² وإتقان المهارات الأساسية في موضوعات النّحو والصّرف ومخارج الأصوات وفي الإملاء واستخدام علامات التّرقيم استخداماً صحيحاً،¹³ فالظواهر اللّغوية تشكّل مع بعضها البعض نسيجاً شبيكياً داخل اللّغة، وكلّ ظاهرة تخدم الأخرى.

ب- تعلّمية قواعد اللّغة العربية:

إنّ تعلّم قواعد اللّغة ليست غاية لذاتها وإنّما "الهدف الأقصى لتعلّم القواعد هو الوصول بالمتعلّم إلى التعبير عن أفكاره بيسر وطلاقة".¹⁴ وهناك جملة من الخطوات ينبغي الإشارة إليها في سبيل تعلّم اللّغة، وهي بمثابة "المسلّمات اللّغوية التي لا غنى عن استثمارها في تعلّمية قواعد اللّغة العربيّة، وهي:

- اللّغة كائن له أن يحيا وينمو ويتطوّر لذلك تعتبر "النّظرة إلى التطوّر اللّغوي ضرورة الانطلاق من الاستعمال اللّغوي الحيّ، والعمل على تحقيق تكامل الفصحى والعاميّة"،¹⁵ لأنّ اللّغة العاميّة هي لغة لكنها تفتقد إلى ضبط القواعد اللّغوية وبعض التّهديب اللّغوي.
- ضرورة إدراك "القواعد اللّغوية الضّمّنية والقواعد اللّغوية العلمية بتأسيس المفهوم اللّغوي في ذهن المتعلّم وربطه بما يعرفه حوله، وترسيخ مفهوم الوظيفة النّحوية ودور الحركات في التعبير عن هذا الدور"،¹⁶ معناه أنّ القواعد العلميّة هي تسجيل للقواعد الضّمّنية في مقولات (دراسات) خاصّة، بنقلها من الحيز الاستبطاني الفردي إلى حيز العلم العام، ولن يتوصّل التّلميذ في نظرنا إلى هذه القناعة إلّا عندما تترسّخ في ذهنه وظيفة الحركات النّحوية الأساسية في بناء الجملة العربيّة، فيحاول تطبيقها حين يقرأ أو يكتب، ويراوده همّ عدم الوقوع في هذا الخطأ عندما يحصل.
- إعطاء مفهوم آخر للفعل والتّعبير عن الزّمن في اللّغة العربيّة، ويكون ذلك بفصل التّعبير عن الزّمن عن صيغة الفعل الصّرفية حسب ما توصّلت إليه الدّراسات في أنّ "الفعل الماضي هو كلّ فعل تمّ إنجاز العمل فيه، وأنّ الفعل المضارع هو كلّ فعل العمل فيه هو في طور الإنجاز ولم يتم بعد الانتهاء منه".¹⁷
- الاشتقاق في اللّغة العربيّة ويكون "بإدراك إنتاجية مفهوم الاشتقاق الذي يسهّل تعلّم قواعد اللّغة العربيّة"،¹⁸ والقاعد العامّة هي أنّ الاشتقاق من الأفعال والأسماء المبنية على جذور، أمّا غير المبنية على جذور هي كالضّمائر وحروف العطف والجر، أسماء الإشارة والظّروف وغيرها؛ "تختلف الأشكال اللّغوية عن ملء الصّيغ الصّرفية"،¹⁹ معناه أنّه ليس جميع الأفعال نستطيع أن نشقّق منها ثمانية مشتقات، لذلك يجب الاعتياد على القواميس اللّغوية في تبيان صحّة الصّيغ الصّرفية المستعملة، وأيضا من أجل معرفة صحّة بعض الجموع، حيث "كثّر شيوع استعمال الجمع المؤنث السالم".²⁰ وسببه هو الاستعمال العامي.

- الاستفادة من علم النفس في الإملاء حيث أن "الكلمة التي يقرأها التلميذ على اللوح ويسمع لفظها من المعلم وينبس بها بشفتيه، ويكتبها بيده فإنّ ذكريات سماعها ونطقها ورؤيتها وكتابتها تمرّ كلّها في ذهنه." ²¹
- فوائد حوسبة اللغة العربية: "يتمثّل في تقديم توصيف شامل ودقيق للنظام اللغوي للحاسوب تمكّنه من مضاهاة الإنسان في كفايته وأدائه اللغويين، فيصبح قادرا على تركيب اللغة وتحليلها، يمثّل الرّسم الكتابي بالإملاء الصّحيح، ويعرف قواعد النظام الكتابي ما ظهر منها وما بطن، فيكشف الأخطاء الإملائية، ويبني الصّيغ الصّرفية، وينشئ الجمل الصّحيحة، ويعرب كما يعرب الإنسان، ويصحّح النّطق." ²²
- كما أنّ "التدريس باللغة العربية الفصحى ضرورة ومزية" ²³، فهو وسيلة من وسائل إبقاء اللغة العربية حيّة متطوّرة في موقع مرموق، كما أنّه يعد الحرج الذي قد يقع فيه المدرّس نتيجة استعمال اللغة العاميّة وبذلك فهو يعمل على إذابة الفوارق اللّهجية، واستعماله (التدريس) يظهر مدى تقدّم المتحدّث ثقافيا وحضاريا، ومدى احترامه لهويّته ووطنه ولغته وأقمته، ويضفي حلّة من الوقار والتّميّز.

ج-أهمية القواعد:

إنّ اللغة العربية "أصيلة وأصالتها هذه هي التي حفظتها طوال هذه المدّة من التّلف والانقراض" ²⁴، فلقد اضمحلت لغات ولغات وبقيت هي شائخة الأنف عزيزة الجانب رغم ما مرّ عليها من محن سواء قديما أو حديثا. ثمّ إنّ حياة اللّغات مرهونة بحياة أهلها لأنّ ارتقاء لغة مبنيّ على ما لأهل كلّ لغة من رقي وعلى مقدار جهود أبنائها في حفظها وصونها. ولقد اشتهر العرب باعتزازهم بلغتهم وغيرهم عليها إلى حدّ التّعصب ويتجلى هذا في ضرب أولادهم على اللّحن واشتمزازهم من الخلط اللّغوي الذي أخذ يتسرّب إلى لغتهم إثر الفتوحات الإسلامية. وإذا كان اللّحن والعجمة من الأسباب التي أدّت إلى جمع وتدوين اللغة العربية في قرون مضت فإنّ هذين الشّبهين ظلا يهددان سلامة اللغة العربية إلى يومنا هذا، لذلك نادى الصّورة بالرجوع دائما إلى قواعد اللغة العربية واستقراءها واستخراج صورها وكليّاتها وأحكامها.

وبهذا نجد الأستاذ أحمد رضا (متن اللغة) يقول في شأن القواعد: "لا أراي مبالغا عندما قلت: أنّ اللغة هي في الأغلب أصول وقواعد وأساليب تجري عليها أكثر ممّا هي مفردات وألفاظ وأنّ لهذه الأصول والقواعد والأساليب من الرّسوخ والثّبات في اللغة ما ليس للمفردات،" ²⁵ فالمفردة كثيرة التعرّض للتطوّر من تحريف وتبديل وقلب ونحت ممّا يمكن معه مع طول المدّة أن يتغيّر شكل الكلمة وهكذا تموت كلمات وتحيا أخرى، أمّا طرق الاشتقاق والتركيب لا تتغيّر إلّا فيما ندر، أي أنّ القاعدة ثابتة لا تتغيّر.

ومن الواضح عند جميع الأمم أنّ اللغة لا تكتمل شخصيتها إلا بقواعدها وقوانينها، وليس يعني هذا أنّ للقوانين اللّغوية قداسة وهيمنة على المجتمع، ولا يجوز لأفراده أن ينفلتوا من هيمنتها وليس يعني هذا أيضا أنّ أهمية القواعد ذاتية تقصد لذاتها سواء أدّت وظيفة أو لم تؤدها، بل المقصود هو الدّور الوظيفي الذي تلعبه القواعد بالنّسبة لعملية التفاهم والتّواصل بين المتكلمين، ولا يستطيع أحد إنكار هذا الدّور في توضيح المعنى وتحديد أهداف الكلام.

وهناك قصة تاريخية يمكن أن نرى من خلالها ما يترتّب عن الإخلال بالقواعد العربية، "فلقد ذكروا أنّ أحد الأعراب قدم إلى المدينة بقصد تعلّم القرآن فسمع من معلّمه أو مقرئه الآية التّالية: (إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)

بالكسر فقال الأعرابي: إن يكن الله بريئا من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ ذلك عمر فدعاه وقال: أتتبرأ من رسول الله يا أعرابي؟ فاعتذر له بأنه قدم المدينة ولا يعلم القرآن وأقرأوه بعض آياته ومنها هذه الآية وقص القصص لعمر فقال: ليس هذا يا أعرابي ثم قرأ عمر: (إن الله بريء من المشركين ورسوله) ورفع (رسوله) فقال الأعرابي: وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم، فأمر عمر ألا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة (أي بقواعدها)،²⁶ ومن هنا فإن الإخلال بقواعد اللغة يفوت على السامع المعنى العميق مما يستدعي معرفة كاملة بجميع جوانبها، والحقائق التي تبين بوضوح أهمية القواعد سواء في التطق أو في الكتابة كثيرة.

ولا يمكننا أن نخدم أعمالا حفظت لغتنا وضبطت قوانينها تلك الأعمال التي قام بها علماء اللغة بتدعيم أركانها. يقول أحمد أمين في ضحى الإسلام: "وبذلوا في ذلك جهدا غريبا في تتبع النصوص وأعمال الفكر واستخراج القاعدة، وليس يدري أحد مقدار الجهد الذي بذل في تعرف قاعدة يعرفها أطفال المدارس الابتدائية اليوم، فإذا كان الأقدمون بذلوا هذه الجهود كلها وتوصلوا بعد طول عناء إلى هذه القوانين اللغوية التي نحتكم إليها ونلتزم بها فكيف يسوغ لنا أن نستهن بما وصلوا إليه، أفلا يكون من الإنصاف أن نقدّر هذه الجهود أولا ونواصل السير لنكمل الحلقات التي بقيت ثانيا،²⁷ لأنّ العمل اللغوي مثل العمل الفكري لا يعرف حدّا ولا نهاية غير أنّ العمل الذي ندعو إليه هو العمل المنظم الذي يصون عملنا عن العبث.

ويقول أحمد رضا أيضا: "أنّ اللغة مشتركة بين أبنائها كسائر المصالح المشتركة فيما بينهم، وهذه المصالح تتعرض للفوضى إذا لم يكن لها نظام يحفظها ووازع يزعمها عن الشذوذ عن النظام عن التعارض والتزاحم، كذلك اللغة فإنّها تحتاج إلى مثل هذا من الضوابط والقواعد التي هي نظام اللغة وشريعتها وكما أنّ أهل الحل والعقد في اللغة وهم أممتها من السابقين وأصحاب الجماع الصالحة من المتأخرينهم أولوا الحق في ضبط هذه القواعد وتهذيبها على سنن لا يخرج بها عن حدّها ولا يمسحها بها في وجهها واتجاهها القومي، ومميّزاتها الخاصة وفي ذمتهم منع الفوضى وإقامة اللغة على أركانها."²⁸ ونظرا للأهمية التي يكتسبها هذا العلم يفضلّه ابن خلدون على اللغة نفسها يقول في المقدمة: "والذي يتحصّل أنّ الأهمّ المقدم منها هو النّحو، إذ به يتبيّن أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولا جهل أصل الإفادة وكان من حقّ علم اللغة التّقدم لولا أنّ أكثر الأوضاع العربية باقية في موضوعاتها لم تتغيّر بخلاف الإعراب الدّال على الإسناد والمسند إليه فإنّه تغير بالجملة ولم يبق له أثر فلذلك كان علم النّحو أهمّ من اللغة إذ في جهله الإخلال بالمفاهيم جملة وليس كذلك اللغة،"²⁹ فاللغة كلّ لا يتجزأ من مفردات وتراكيب وقوالب وقواعد وأحكام، غير أنّ أهمية القواعد لا تخفى على أحد في حفظ كيان اللغة.

ويقول الفرابي في كتابه إحصاء العلوم: "القوانين والقواعد في كلّ صناعة هي أقاويل جامعة تنحصر في كلّ واحدة منها أشياء كثيرة يمتحن بها من لا يؤمن أن يكون قد غلط فيه غلط"³⁰، لهذا "فالإنشاء والمطالعة والأدب والبلاغة تظلّ عاجزة عن أداء رسالتها ما لم تقرأ وتكتب بلغة سليمة خالية من الأخطاء."³¹ فقواعد اللغة العربية تعد العمود الفقري لهذه المادة، إذ أنّها تعمل على تقويم الألسنة وتجنبها الخطأ في الكلام والكتابة وتعودها على استعمال المفردات سليمة وصحيحة.

وبهذا تغدو أهمية القواعد من أهمية اللغة ذاتها لأن القواعد وسيلة لضبط اللغة، وعدم مراعاتها يجعل اللغة "تصنف في خانة اللهجات لافتقارها إلى نظام رمزي هجائي وقواعد نحوية وصرفية موحدة بين مستخدمي هذا النسق"،³² مما يمان عملية الاتصال اللغوي بين المتكلم والمخاطب تخضع إلى سلامة تلك القواعد، فالخطأ في الإعراب يؤثر من دون شك في نقل المعنى المقصود وبالتالي يعجز المتلقي عن فهمه.

والبناء الشامخ لا يثبت أن تدعمه القواعد والأركان، والعلم لا يتحقق إن لم يستخلص له قوانين جامعة وقواعد مضبوطة شاملة، وللغة قواعدها "وقد تكون القواعد هي الغرض الأسمى الذي نهدف إليه كما هو الشأن في العلوم، وقد تكون وسيلة فقط ولكن لا بد منها كما هو الحال في اللغة والمنطق وغير ذلك، لذا كان ضروريا على من يريد ولوج أبواب المعارف أن يتقن قواعد التطق والكتابة لأنها بمثابة المفاتيح التي تمكن الدارس من الاتصال بجميع أوجه النشاط الفكري والحضاري"،³³ فلا نعتقد أن الجاهل لهذه القواعد يستطيع أن ينفذ إلى صميم الحياة العلمية والثقافية بل لا يستطيع حتى فهم الكلام على مقتضياته، سواء كان مسموعا أو مقروءا أو منطوقا أو مكتوبا.

3- المهارات الأربع:

المهارة حسب ما يقصده البعض "القدرات اللغوية، ويقسمها إلى قدرة الفهم (الإدراك)، وقدرة الصّحة (السيطرة على القواعد النحوية والصرفية للغة)، وقدرة الجودة (تمكّن الطالب من القواعد البلاغية وقوانين النقد الأدبي)،³⁴ المهارة في التعليم الابتدائي تقتصر أكثر على صحّة اللغة إن وجدت الجودة.

لعلّ أوفى تعريف للمهارة هو أنّها "نشاط عقلي أو بدني يؤديه الفرد بحيث يتميز هذا الأداء بالسرعة والدقة والسهولة وتحقيق الأمان والتكيف مع ظروف المتغيرات بحيث يؤدي هذا النشاط في النهاية إلى مستوى عال من الإتقان والجودة في الأداء"³⁵، وقد تتشكل المهارة وتكتسب فتصبح هي "المكتسبات التي تمكن منها المتعلم وأصبح قادرا على تنفيذ ما تتطلبه بصورة آلية وسريعة".³⁶ أي أنّ المهارة تمتاز بالسهولة والدقة في أداء سلسلة من الخطوات المتتالية لمجموعة من الأعمال الحركية بشكل متناسق والوصول بها إلى درجة من الإتقان تيسر على المتعلم أداءها، وكثرة الممارسة تجعلها أكثر اكتساب لديه.

كما أنّها من يجعل منها فنا حيث يقول: "إن فنون اللغة - كما هو معروف - تتحدّد في مساقها الطبيعي في الاستماع والحديث والقراءة ثم الكتابة".³⁷، ويعكس القول آخرياً تكون "الفنون هي المهارات، والأفكار تنقل عن طريق فنون اللغة، واللغة هي أهم مكوّن لتواصل البشرية، فالأصل اللغوي والذي يشمل الاستماع، الحديث، القراءة، والكتابة ذو أهمية كبرى في المناهج التعليمية الأولية، وهذه الأهمية قد انعكست من خلال التقدير التالي: وهو أنّ متوسط ما يسمعه الفرد في اليوم الواحد يعادل قراءة كتاب، وأنّ ما يتحدث به الفرد في اليوم يعادل قراءة كتاب أسبوعيا، وما يقرأه يعادل قراءة كتاب كلّ شهر، وما يكتبه الفرد في اليوم يعادل كتابة كتاب في العام والإنسان في مواقف مختلفة يستخدم هذه الفنون أو المهارات بصورة دائمة".³⁸

ويظهر لنا من كلّ هذه التعاريف أنّ مهارات اللغة تنقسم إلى مهارة الحديث، مهارة الاستماع (الإنصات)، مهارة القراءة، ومهارة الكتابة، وحقيقة الأمر أنّ جميع مهارات اللغة متداخلة ومتشابكة، وأي مهارة يكتسبها الطفل تساعد على اكتساب المهارات الأخرى.

أ- القراءة:

حسب ما تشير إليه الدراسات هو أن الأطفال مستعدون للقراءة في سن مبكرة، خاصة "القراءة الجهرية ويقصد بها نطق الكلمات والجمل بصوت مسموع يراعي فيها سلامة النطق وعدم الإبدال أو التكرار وهي وسيلة لإتقان النطق".³⁹ وللقواعد دور كبير في تنمية هذه المهارة إذ أن "العلوم المساعدة لاستراتيجيات الفهم القرائي هي: علم الصّرف، علم النحو، علم المعجم، علم الدلالة، علم البلاغة، علم التداولية، علم النفس".⁴⁰ وها هنا "القراءة بوصفها مهارة يتلقّى الأطفال من خلالها، وعن طريقها كثيرا من معلوماتهم، وأوجه تعلّمهم"،⁴¹ وبهذا فهي تسهم في تزويد المتعلّم بمختلف الجمل وتراكيبها، ومختلف الصّيغ القاعدية التي تعينه على تأسيس المعايير النحوية اللازمة للحكم على اللغة الصواب، والتعبيرات الصحيحة في الحديث والكتابة. وإذا كان المتعلّم متمكّن من الظواهر اللغوية خاصة النحوية منها فإنه سيكون حتما قادرا على قراءة النصوص الغير مضبوطة بالشكل، سواء في اللغة العربية أو في مادة أخرى، معالجة ضعف القراءة، يكون بالتدريب على النطق الصحيح، والتعريف بالقواعد الصحيحة لنطق الحرف، التعريف بمعاني الكلمات، التّقييم بعد القراءة.

ب- الاستماع:

الاستماع هو سبيل من سبل الإنسان لزيادة ثقافته وتنمية خبراته بالمجتمع، إذ هو "فن ذو مهارات كثيرة، وهو عملية معقدة تحتاج إلى الكثير من التدريب والعناية وهو من فنون اللغة"،⁴² ومن هنا ظهر تعليم المتعلّمين ما يسمّى بالاستماع النّاقذ وهو "الربط بين المواد الصوتية المسموعة والخبرات الشخصية الذاتية للمستمع وهذه المهارة تقتضي من المستمع أن يفكر فيما يعرفه في ضوء ما يستمع إليه ليحدّد أوجه الشّبه الموجودة بين ما يعرفه، وما يستمع إليه، وكذلك ليحدّد أوجه الاختلاف بين ما لديه وما يستمع إليه"،⁴³ كما أنّه هو "اللّبنّة الأساس لنموّ اللّغة وتطوُّرها".⁴⁴

ج- المحادثة:

هناك من يعتبر المحادثة أهم مهارة للتعلّم؛ حيث أنّ "الدّافع لمشاركة الآخرين أفكارهم وآراءهم، والاتّصال معهم يعدّ من أهم المحفّزات والمعينات على التّعلّم"،⁴⁵ إلا أنّ هناك من يحدّد المحادثة في التعبير الشّفهي الذي "ينقل الأفكار والآراء من الحيز الفكري المجرّد إلى الميدان المدرك عن طريق المفردات والعبارات والجمل. ومن مكّونات الكفاية في التعبير الشّفهي الالتزام بالقواعد الصّرفية والنحوية"،⁴⁶ وهناك من يصطلح عليها بـ: "النطق، الكلام، الحديث، التحدّث، التعبير الشّفهي، ثم المحادثة، منتمون إلى الفنّ اللّغوي الثّاني وهو المحادثة رغم الفوارق التي بينها".⁴⁷

د- الكتابة:

تعدّ الكتابة "عملية ذهنية تنقل الأفكار إلى ميدان التعبير المادي المتجسّد في المفردات والعبارات والجمل والفقرات والنصوص وهي لا تشكّل نقلا آليا للتعبير الشّفهي"،⁴⁸ لذلك نحن لا نقصد بالكتابة التعبير الكتابي بل كل ما يمكن كتابته في مختلف الأنشطة والمواد.

ورغم أنّ هناك من يجعل مراعاة الظواهر اللّغوية في آخر خطوات الكتابة أي "بعد رسم الموضوع المزمع معالجته، وتنظيم الأفكار حوله، ينتقل إلى كتابة النصّ كتابة أوليّة، مراعيًا القواعد النحوية والصّرفية الصّورية لكتابة هكذا نص،⁴⁹ إلا أنّ اعتبار الظواهر اللّغوية يصاحب العملية منذ بدايتها، والكتابة أكثر ما تعتمد على ظاهرة أو قواعد لغوية تعتمد أكثر على ظاهري الإملاء والصّرف، فتتمثّل "صعوبات الكتابة في الأخطاء الإملائية الكثيرة مع كتابة الكلمات

الظواهر اللغوية ودورها في تنمية المهارات الأربع - في ظل المقاربة بالكفاءات - كريمة زيتوني / د عبد الوهاب المسعود

كتابة خاطئة من حيث البنية الصحيحة، مع عدم وضوح الخط، وعدم التمكن من استخدام القواعد النحوية والصرفية استخداما صائبا بالإضافة إلى عدم استخدام المفردات وتوظيفها توظيفا مناسباً، فصعوبة الكتابة ترجع إلى صعوبة قواعد الإملاء،⁵⁰ وتوظيف بعض قواعد النحو أو الصرف في الوضعية الإدماجية يساعد المتعلم على بناء تلك الوضعيات التي تطرح في الامتحانات.

4- خلاصة وتوصيات:

- لطالما كان التعليم على ثلاثة عناصر أساسية هي المعارف، المعلم، المتعلم، يجمعها عنصر آخر وهو الطريقة أو الوضعية التعليمية التعليمية، فأصبح التعليم مقرون بالتعلم الذي يكون فيه المتعلم الأساس فهو من يبحث ويكتشف ويستفسر، ويجتهد ويطلع على الظاهرة اللغوية التي سيتم تناولها.
- الانطلاق من التصوص لدراسة القواعد وليس العكس، لأن ما استعمل في التصوص يكون اللغة الحية وما لم يستعمل إلا نادراً أو شواذاً يبقى على هامش الاستعمال اللغوي ولا ينبغي أن يشكل مادة تربوية مفروضة، وإنما يطرح للاستزادة والتوسع.
- إدراج تعليم ألفية ابن مالك على حسب مضامين الظواهر اللغوية في التعليم الابتدائي، لأن العلم في الصغر كالنقش على الحجر.
- لم تتغير مضامين الظواهر اللغوية من التعليم الأساسي إلى التعليم الابتدائي وإنما ما تغير هو طريقة تناول هذه المضامين أو الكيفية المتبعة في مقاربتها.
- اتباع النص بالقاعدة ضمن نظام الإصلاح سهل العملية التعليمية التعليمية على كل من المعلم والمتعلم على حد سواء، فالمتعلم يقرأ النص المقرر ثم يطلع على الظاهرة اللغوية التي ستعالج وبذلك يحضر الدرس من قبل المتعلم والمعلم، فيكون هناك تلمين لهذه الظاهرة التي ستستوعب بشكل كبير لدى المتعلم.
- مثلما نعلم أن الخطأ في أواخر الكلم يؤدي إلى تغير القراءة ثم المعنى وبالتالي يتغير الفهم، وفهم السؤال هو نصف الجواب وهنا تظهر أهمية النحو على درجة كبيرة من التأثير.
- إذا ساهمت الظواهر اللغوية في تنمية ما يسمى بالمهارات اللغوية فإنها ستلقى عائداً كبيراً في المجتمع والمحيط التي يتم التواصل فيه باللغة الدارجة أو العامية.
- الظواهر اللغوية هي قواعد النحو والصرف والإملاء التي تضمن السماع والفهم والنطق والكتابة والقراءة الصحيحة للغة العربية بصفة عامة، لذا يجب تعميم النطق الصحيح والكتابة وحتى القراءة والسماع السليمين للغة العربية باحترام والحفاظ على ظواهرها في جميع المواد والأنشطة اللغوية والأدبية والعلمية، وبالتالي تنشئة المتعلم على لغة سليمة.
- ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لم لم يحتاج العربي الأول لهذه القواعد ومع ذلك كان له إلمام كاف بنطق لغة سليمة، ولعل الجواب هو أن العربي الأول كانت له ظروف توفرت فيها النماذج الصالحة للمحاكاة والتقليد، فلقد كان يتلقن هذه اللغة صافية وكان مجتمعه حريصاً على صفاء اللغة، أما نحن فإن هذه النماذج تكاد تكون غائبة إلا ما بقي محفوظاً في المقررات الدراسية. فكل ما نبنيه في المدرسة تهدمه أحاديث الشارع والمنزل.
- الوسيلة التي يبحث عليها نظام الإصلاح غير متوفرة حتى في المدارس الحضرية، ووسيلة اللغة العربية هي المكتبة وجهاز الحاسوب مضبوط بشبكة الانترنت لإنجاز المشاريع المختلفة.

-وبما أن المعلم هو من تكون له الوصاية أكثر على المتعلم طبعاً في العملية التعليمية/ التعلّمية باعتباره أقرب مصدر للتعليم من المتعلم، فعلى هذا المعلم دور كبير في تعليم مهارات اللغة العربية، فلا بدّ له من إتاحة الحرية للمتعلّم في الكشف والتنقيب، وهذا ما تدعو إليه المقاربة بالكفاءات، ثمّ عليه إتاحة التّوقيت الكافي للمتعلّم للتّفكير على انفراد، كما يجب أن يكون المعلم قدوة للمتعلّم فكيف نطالب المتعلّم بلغة سليمة في حين لا يتقنها المعلم، ثمّ على معلمي اللغة أن يزودوا المتعلّمين بالمواد اللازمة لتعليم اللغة العربية غير الكتاب المدرسي، وإن تكن هذه المسؤولية للمصالح المعنية لكن ينبغي للمعلّم أن يجتهد، لأنّ الهدف هو تكوين متعلّم كفء.

- مقارنة الظواهر اللغوية بالكفاءات تعمل على تنمية المهارات اللغوية الأربع أو كما يسميه البعض النمو اللغوي، بحيث يصبح للمتعلّم كفاءة لغوية ومهارات تثمن أدائه خاصّة القرائي والكتابي منه، وهذه المهارات تكتسب من كثرة الممارسة، وإن كان تعلّم اللغة زمنياً يسبق تعلّم ظواهرها إلّا أنّ تعلّم هذه الظواهر وإدراكها يلعب دوراً كبيراً في تنمية مهاراتها.

الهوامش:

¹ - سعدون محمود الساموك، مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها، دار وائل للنشر، ط1: 2005، عمان، ص 144

² - « La compétence désigne la connaissance implicite qu'un sujet parlant possède sur sa langue. Cette connaissance implique la faculté de comprendre et de produire, à partir d'un nombre fini de règles, l'ensemble infini des phrases grammaticales d'une langue (cet ensemble comprenant des phrases que le locuteur n'a jamais entendues). Cette connaissance implique également la capacité de distinguer les énoncés bien formés de ceux qui ne le sont pas, les phrases ambiguës ou les phrases inacceptables. » Gilles Siouffi, 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal édition, 1999, p 90.

³ - بوبكر خيشان ومجموعة من المؤلفين، دليل المعلم اللغة العربية، السنة الأولى من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، منشورات الشهاب، الجزائر، ط2: 2004، ص 7.

⁴ - سميح أبو مغلي، التدريس باللغة العربية الفصحى لجميع المواد في المدارس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1: 1997، ص 18.

⁵ - نايف نمر خرما ومجموعة من المؤلفين، مادة اللغة العربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط2: 2002، ص 9.

⁶ - عبد الستار عبد اللطيف، مباحث في اللغة العربية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، د ط ت، ص 3.

⁷ - إسماعيل أحمد عمارة، مهارات اللغة العربية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1: 2000، ص 8.

⁸ - فخري خليل التجار، اللغة العربية، مهارات لغوية، تذوق الأدب العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1: 2007، ص 5.

⁹ - سميح أبو مغلي، التدريس باللغة العربية الفصحى لجميع المواد في المدارس، ص 05.

¹⁰ - المرجع نفسه، ص 53

¹¹ - المرجع نفسه، ص 53

¹² - المرجع نفسه، ص 61

¹³ - المرجع نفسه ص 5

¹⁴ - أنطوان صياح، تعلّمية اللغة العربية، ج 2، دار النهضة العربية، بيروت، ط1: 2008، ص 161

- 15- المرجع نفسه ، ص 161
- 16- المرجع نفسه ، ص 161
- 17- المرجع نفسه ، ص 161
- 18- المرجع نفسه ، ص 161
- 19- المرجع نفسه ، ص 161
- 20- المرجع نفسه ، ص 161
- 21- سميح أبو مغلى، التدريس باللغة العربية الفصيحة ، ص 17.
- 22- وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، ط 1: 2011، ص 28.
- 23- سميح أبو مغلى، التدريس باللغة العربية الفصيحة ، ص 47- 48.
- 24- مجموعة من المؤلفين، دروس تطبيقية ، الطباعة الشعبية للحيش، الجزائر، 1973-1974، ص 30. نحن نعلم جميعاً أن تاريخ اللغة العربية موغل في القدم، "فلقد ذكر المؤرخون والعلماء أن اللغة الحميرية (وهي لغة عربية) عرفت منها نقوش وآثار يرجع عهدها إلى القرن 8 ق.م وأن العربية العدنانية (لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن) قد ظهرت في القرن الخامس ق.م هذا وأن الآثار التي ظهرت أُنْما من القرن الثامن ق.م كانت بالطبع لقوم وجدوا قبل هذا التاريخ وهناك دولة عربية (وهي الدولة المعينية) عرفت قبل المسيح بنحو 15 قرناً إذا فالعربية إحدى اللغات السامية المتأصلة والعريقة".
- 25- المرجع نفسه ص 31، 33
- 26- المرجع نفسه، ص 33، 34.
- 27- ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1: 2004، ص 5.
- 28- مجموعة من المؤلفين، دروس تطبيقية، ص 35.
- 29- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ج 4، المؤلف المساعد عطية رشيد، دار الشروق، بيروت، ط 4: 1986، ص 1254.
- 30- مجموعة من المؤلفين، دروس تطبيقية عامة، ص 35
- 31- طه علي حسين الدليمي، أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط 1: 2004، ص 25.
- 32- المرجع نفسه ص 25
- 33- المرجع نفسه ص 25
- 34- المرجع نفسه ص 25.
- 35- <http://adiyaronline.yoo7.com> - بعد مرور 50 سنة من الاستقلال، اللغة الوطنية إلى أين؟ ص 02
- 36- مجموعة من المؤلفين، دروس تطبيقية عامة، ص 35.
- 37- محمد فرحان القضاة، تنمية مهارات اللغة، ص 76.
- 38- أنطوان صياح، تعلّم اللغة العربية، ص 32.
- 39- أحمد حسن حنورة ، المهارات اللغوية، دار المطبوعات الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط 2002، ص 9-17-
- 40- حسنى عبد البارى عصر، فنون اللغة العربية، (تعليمها وتقويم تعلمها)، شركة الجلال للطباعة، مصر، د ط ت، ص 58 وما بعدها.
- 41- محمد فرحان القضاة، تنمية مهارات اللغة، ص 77-78.
- 42- المرجع نفسه، ص 79.
- 43- أنطوان صياح، تعلّم اللغة العربية، ص 79.
- 44- حسنى عبد البارى عصر، فنون اللغة العربية، ص 65.
- 45- المرجع نفسه ص 62.
- 46- عبد الرحمن عبد اللي الهاشمي، اللغة العربية وطرائق تدريسها، الزاقي للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1: 2006، ص 119-177.
- 47- أنطوان صياح، تعليمية اللغة العربية، ص 60-61.

48 - حسنى عبد البارى عصر، فنون اللغة العربية، ص 64.

49 - المرجع نفسه، ص 184.

- أنطوان صياح، تعلمية اللغة العربية، ص 169، 181

قائمة المصادر والمراجع :

- سعدون محمود الساموك، مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها، دار وائل للنشر، ط1: 2005، عمان.
 - بوبكر خيشان ومجموعة من المؤلفين، دليل المعلم اللغة العربية، السنة الأولى من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، منشورات الشهاب، الجزائر، ط2: 2004.
 - سميح أبو مغلي، التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1: 1997.
 - نايف نمر خرما ومجموعة من المؤلفين، مادة اللغة العربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط2: 2002.
 - عبد الستار عبد اللطيف، مباحث في اللغة العربية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، د ط ت.
 - إسماعيل أحمد عمايرة، مهارات اللغة العربية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1: 2000.
 - فخرى خليل التجار، اللغة العربية، مهارات لغوية، تذوق الأدب العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1: 2007.
 - أنطوان صياح، تعلمية اللغة العربية، ج 2، دار النهضة العربية، بيروت، ط1: 2008.
 - وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، ط1: 2011.
 - أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 2004.
 - ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ج4، المؤلف المساعد عطية رشيد، دار الشروق، بيروت، ط4: 1986.
 - طه علي حسين الدليمي، أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1: 2004.
 - أحمد حسن حنورة، المهارات اللغوية، دار المطبوعات الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط 2002.
 - حسنى عبد البارى عصر، فنون اللغة العربية، (تعليمها وتقوم تعلمها)، شركة الجلال للطباعة، مصر، د ط ت.
 - عبد الرحمن عبد اللي الهاشمي، اللغة العربية وطرائق تدريسها، الزقاق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1: 2006.
- Gilles Siouffi, 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal édition, 1999.